الأدب واللغة في أسبوع

الأدب والسياسة :

هذا عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين بك في مساء يوم الإثنين بقاعة الليسيه فرنسيه ، وقد بدأ بالتساؤل عن معنى الأدب والسياسة ، فانتهى إلى أن الكلام لا يكون أدباً إلا إذا زيد فيه على تأدية المعاني العادية الإمتاع الفني الذي يتحقق من المعنى واللفظ وطريقة الأداء حين يريد الأديب أن يؤثر في النفوس ويثير فيها العواطف المختلفة ، كما انتهى إلى أن السياسة أعم مما يفهم منها حين يراد بها العلاقة بين الحكومة والشعب ، أو بين البرلمان والحكومة وحين يراد بها النزاع بين الأحزاب على الحكم ونظمه ، لأن السياسة تشمل شئون الشعب من حيث علاقات أفراده وجماعاته وطبقاته بعضها ببعض كما تشمل علاقة الشعب بالشعوب الأخرى في شتى نواحي الحياة ، أي أنها تشمل الحياة الاجتماعية كلها . وقال الدكتور : إن هذا هو المعنى الذي أفهمه للسياسة حين أتحدث إليكم في العلاقة بين الأديب والسياسة .

وعلى هذا الوضع نستطيع أن نتبين هل يمكن للأديب أن يعيش في عزلة عن المجتمع ؟ إن ذلك لا يمكن لأن الأدب ظاهرة اجتماعية والأديب أداة اجتماعية لا يستطيع أن يعيش بنفسه ولنفسه ، وساق حياة المعري مثلا على العزلة الظاهرية التي تدل على عدم إمكان الانقطاع عن حياة الناس ؛ لأنه لزم داره حقاً ، ولكنه أنشأ أدبه في شئون الناس؛ ينتقد حياتهم ويسفه آراءهم؛ فاعتزال الأديب غير ممكن ، وما مسألة البرج العاجي غير خداع وأوهام . وقال إنه عرف بعض الأدباء الذين يزعمون أنهم يعتصمون بالبرج العاجي من المصريين وغير المصريين فلم ير أحداً أشد منهم تهالكا على نشر آدابهم وحرصاً على رضا الناس عنهم وخوفاً من سخطهم على إنتاجهم .

فلندع إذن هذه المسألة الوهمية لننظر فيما يضطلع به الأديب؛ فهو إما أن يكون مترفاً في أدبه يخلص من مشاغل الحياة إلى إمتاع العقل والقلب بفن رفيع ، وهذا في الحقيقة لا يتجنب مسائل الحياة ، وإنما يعالجها على نحو لا يدركه إلا الخاصة ، أو يكون الترف بالتلهية والتسلية كالذي يقصر الوقت بين الاستلقاء على الفراش والاستغراق في النوم . أو يعمد الأديب إلى جد الحياة فيشارك في التوجيه والتثقيف ويصور الآلام والآمال .

والأديب على كل حال من هذه الأحوال فرد في المجتمع يعمل كما يعمل أفراده ويتحمل نصيباً من التبعات قل أو كثر ، حتى أديب التسلية فإنه يعين على التخفف من هذه التبعات في بعض أوقات الفراغ .

وبعد أن استعرض الدكتور بعض العصور الماضية مبيناً أثر السياسة في الأدب وانشغاله بها ، خلص إلى الوقت الحاضر فقال إن أدباءنا جميعاً — وأنا منهم — غارقون في السياسة إلى الأذقان؛ فهم جميعاً يتحدثون في كتبهم وفي الفصول التي تنشرها لهم الصحف والمجلات ، عن شئون الحياة ومشاكل العصر ، ولو لم يفعلوا ذلك لكانوا طفيليين في الحياة . وغاية ما في الأمر أننا نستطيع أن نحدد ما ينفع وما لا ينفع ومن الثاني الاشتغال بخصومات الأشخاص وأغراضهم ومطامعهم ، وفي غير ذلك لا يجمل بالأديب أن يتجنب السياسة . ويحدث أن يلقاني بعض الناس أو يلقوا غيري من الأدباء فيقولوا : لو تركت السياسة وخلصت للأدب ! وهؤلاء لا يفهمون السياسة ولا الأدب .

تعقيب :

رأيت أن الدكتور طه وسع معنى السياسة حتى جعلها تشمل كل شئون الحياة ، وليس هذا هو مدلولها الذي جرى الناس عليه وقد انساق في هذا التوسيع — كما يخيل إلي — ليدخل السياسة في اختصاص الأديب . ولكن هل هذا الغرض في حاجة إلى التوصل إليه بذلك المزج ؟ إن الأديب يتناول كل شيء في الحياة بطريقته الفنية ، فيكتب الأدب السياسي والأدب الاجتماعي وغيرهما ، وليس معنى هذا أن كل شئون الحياة اسمها سياسة ، وإلا فهل تعد القصة التي يكتبها الأديب مثلا ويدير فكرتها وحوادثها على زوجين لم يسعدا لاختلافهما في العمر اختلافاً كبيراً هل يعد مثل هذا سياسة ؟

أما هل يكتب الأديب في السياسة أو لا يكتب فيها ، فهذه مسألة أخرى ، وإن كان مما لا شك فيه أنه حين يكتب في

السياسة فيمتع ويُشعر بجمال الفن ، لايبعد عن الأدب ، ولكن أدبه سياسي يختلف عن ألوان أخرى من الآداب .

مؤتمر المجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين بافتتاح مؤتمره السنوى أى الجلسات التى تنعقد بحضور الأعضاء الأجانب شرقيين وغربيين ، وقد جرى المجمع على أن يحتفل فى أولى هذه الجلسات بافتتاح هذا المؤتمر .

افتتح الحفل معالى رئيس المجمع أحمد لطفى السيد باشا ، ثم ألقى معالى وزير المعارف عبد الرزاق السنهورى باشا كلمة لا أحسبنى مغالياً إن قلت إنها ثورة لغوية .. فقد أشار إلى ماذكره فى خطاب العام الماضى من أن هناك علامتين لسلامة اللغة ، هما اقتراب لغة الخاصة من لغة العامة ، وابتعاد لغة الحاضر عن لغة الماضى . ثم قال إن لغتنا العربية فى الوقت الحاضر قد تطورت تطوراً كبيراً ، لأنها اليوم أقرب إلى لغة العامة وأبعد عن لغة الماضى إلى حد كبير ، فهى إذن لغة سليمة ، وليست اللغة السليمة هى التى نقرأها فى كتب القرون الماضية ، فهذه صورة تاريخية من صور تطور اللغة العربية ؛ والذين يقولون إن اللغة العربية قد دخل عليها الفساد وركبتها البدع يعتقدون أن اللغة العربية ليست إلا هذه الألفاظ والعبارات التى جرت بها الألسن فى القرون الأولى ودونتها الكتب والمعاجم فى العصور السالفة . ولكنا نذهب إلى غير رأيهم ، فلا تملك الأموات من هذه اللغة أكثر مما تملك الأحياء .

ووصلت الثورة إلى مداها عند ما قال معاليه : هأنذا أستعمل لفظ « التطور » وهو لفظ عربى لا إخال أنه يستند إلى نص أو قياس ، ولكنه لفظ أجمع عليه كتاب العربية فى عصرنا الحاضر ، فهل يجوز لأحد اليوم أن يخطئنى فى استعماله ؟ وقد أكون استعملت فى كلمتى هذه أو فى غيرها ألفاظاً قد تكون منضبطة على القاموس أو غير منضبطة ، وقد تكون واردة فى المعاجم الأولى أو غير واردة ، فسواء كان هذا أو ذاك فإنها ألفاظ عربية سليمة متى انعقد عليها إجماعنا فى العصر الحاضر .

ونوه معاليه بأهمية الإجماع فى اللغة وتطورها وحيائها ، ثم نبه على أنه لا يقصد به الفوضى التى تأتى من استعمال ألفاظ بعيدة عن اصول اللغة وقواعدها .

وألقى الأستاذ عباس محمود العقاد بحثاً فى « موقف الأدب العربى من الآداب الأجنبية فى القديم والحديث » . فأوضح معالم الموضوع وبينه بياناً حسناً على اضطراره إلى الإيجاز فيه . قال إن الأدب العربى تأثر بمخالطة الأمم الأجنبيه قديماً كما تأثر بها حديثاً ، غير أن تأثره بها فى القديم كان على أكثره — من ناحية الحضارة بملابسة الأمم فى أصول المعيشة وعادات المجتمع ، وأن تأثره بها حديثاً كان — على أكثره — من ناحية الثقافة بالاطلاع على آداب الأمم فى لغاتها والتوفر على دراستها .

قال الأستاذ فى بيان التأثر القديم : كان اعتزاز العرب بأنهم صارفاً لهم عن تعلم اللغات الأجنبية منذ أيام الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أضاف الاعتزاز بالعقيدة إلى الاعتزاز باللسان ، لكنهم خالطوا الأمم فى حضارتها وإن لم يتكلموا بألسنتها فأثر ذلك فى أدبهم وظهر أثره فى أوزان القصيدة ومعانيه ، وفى الإسلام زاد الاتصال فدخل فى أغراض الشعر كثير من مظاهر الحضارات التى تجمعت فى بلاد الدولة الإسلامية كوصف المهرجانات والمواسم .

ثم قال فى بيان التأثر الحديث : إن موقف الأدب العربى من الأمم الأجنبية فى العصر الحديث هو — على الأغلب — موقفه من الأمم الأوروبية ، وصبغة الثقافة فيه أظهر من الحضارة على وجه التعميم ، ولقد كانت اللغتان الفرنسية والإنجليزية أقرب مسالك الثقافة الأوربية إلى البلاد العربية . واتفق أن كان هذا الاتصال فى عهد النهضة العلمية أو عهد التحقيق والتمحيص ، فقرأ أدباء العرب كتب القوم وهى تضيف مزايا التعبير العلمى إلى مزايا التعبير الأدبى فى أقلام البلغاء ، فكان من أثر ذلك دقة الأداء وتخصيص اللفظ بمعناه ، وكان من أثره اتساع أفق الكتابة والشعر ، وبخاصة ما كتب أو نظم فى تمثيل الجوانب النفسية وتحليل دواعى الحس والعاطفة

وألقى الشيخ عبد القادر المغربى كلمة عن « مجامعنا اللغوية وأوضاعها » تحدث فيها عن المحاولات الأولى فى إنشاء هذه المجامع ، فالمجمع الأول أنشىء سنة ١٨٩٢ برياسة السيد توفيق البكرى ، والمجمع الثانى أنشىء سنة ١٩١٧ برياسة الشيخ سليم البشرى وكان الأستاذ لطفى السيد (باشا) مقرراً له ، وقد أنتج هذان المجمعان نتاجاً لم يكد يولد حتى مات ؛ لأسباب منها مايرجع إلى طبيعة الألفاظ التى وضعت ، ومنها ما يرجع إلى التغافل عن

الطرق المؤدية إلى استعمال تلك الألفاظ واستمالة أنظار الجمهور إليها . وعد الأستاذ المغربي من تلك المحاولات ما كان منه ومن المغفور له أحمد تيمور باشا إذا اتفقا على العمل على استعمال ألفاظ فصيحة بدلا من العامية والدخيلة ، وانتقى تيمور باشا عشرين كلمة من الفصيح ونشرها في المؤيد سنة ١٩٠٨ ونصح الجمهور باستعمالها ، ثم كتب الشيخ المغربي تطبيقاً عليها مقالا في المؤيد بعنوان « تمرين على الكلمات العشرين » .

ثم تحدث الأستاذ عن المجمع العربي بدمشق ومجمع فؤاد الأول بمصر وأثرهما في اللغة وما يرجى منهما .

وألقى الأستاذ محمد كرد علي بحثا في « عجائب اللهجات » بين فيه أثر اختلاط العرب بغيرهم وخاصة بعد الإســـلام في تعدد اللهجات ، واستمر في بحثه حتى وصل إلى العصر الحاضر فساق أمثلة كثيرة لاختلاف اللهجات في الأمم العربية .

ووقف الأستاذ جب المستشرق الإنجليزي فاعتذر عن عدم حضوره مؤتمر المجمع في السنتين الماضيتين لانشغاله مع زملائه أساتذة الثقافة الشرقية في الجامعات الإنجليزية بتنظيم الدراسات الشرقية وقال إنهم ألفوا جمعية خاصة بهم في السنة الماضية .

أعمال المجمع :

وقد ألقى الدكتور منصور فهمي باشا كاتب سر المجمع كلمة في « أعمال المجمع خلال الدورة الماضية » وأرهفت الآذان لتلقي أنباء هذه الأعمال فإذا هي تتلخص في إلقاء بحوث في الجلسات من بعض الأعضاء ، وفي النظر في بعض المصطلحات العلمية وتقرير تعريفها ، والنظر في منهاج العمل بالمعجم الوسيط والمعجم الكبير ، وفي مواصلة اللجان أعمالها ، فلجنة الأدب أنجزت مسابقة الإنتاج الأدبي في العام الماضي وتعمل في مسابقة العام الحالي ، ولجنة الأصول أمامها مقترحات في تيسير الكتابة العربية لا تزال تبحثها .

وكل تلك الأعمال عدا المسابقة الأدبية لم تظهر لأعين الناس بعد ، ولم يزل المجمع يتحدث عنها منذ سنين كما يتحدث عنها الآن حتى المجلة التي قالوا منذ أكثر من عام إنها على وشك الظهور لا تزال طي الخفاء . وقد فاتني أن أذكر من أعمال المجمع أنه قرر نشر المجلة مرتين في السنة

أشعر الشعراء :

كانت مجلة الهلال قد نشرت في أكتوبر الماضي استفتاء لقرائها عن الشعراء الخمسة الأول بين العرب الأحياء ، وعمن هو أجدرهم بلقب الإمارة الآن . وكنت قد عقبت على ذلك ببيان عدم الحاجة إلى هذه الإمارة ، وتفنيد طريقة استفتاء قراء أكثرهم ليس أهلا لمثل هذه الأحكام الأدبية .

وقد أحسنت الهلال إذ أعلنت في هذا الشهر نتيجة الاستفتاء خالية من « أمير الشعراء » قاصرة على « الشعراء الخمسة الأول » واصطنعت اللباقة في « دعم » مسألة الإمارة ، إذ ذكرت أن المشتركين في الاستفتاء « قالوا إن آثار كبار شعرائنا تكاد تكون في مستوى واحد من القوة والإبداع ، ويكاد لا يوجد وجه لتقديم بعضهم على البعض الآخر » وهكذا خلصت إلى ما عرف عن دار الهلال من الاتزان وإرضاء الجميع . ثم أعلنت « أن الشعراء الخمسة الأول بين شعراء الأقطار العربية هم بالترتيب الذين حازوا أكثر الأصوات : خليل مطران بك . علي الجارم بك . السيد بشارة الخوري . الأستاذ علي محمود طه . الأستاذ أحمد رامي »

وقد جاءت هذه النتيجة — كما ترى — وفقاً لما ينتظر من قراء يتوخون أكثر الأسماء شهرة في المحيط العام دون التفات أو دراية بما تستحق من تقديم أو تأخير ... وأنت تعلم — كما أعلم — أن ثمة شعراء يرجحون بعض هؤلاء في الموازين الأدبية . وقد نشرت المجلة تعقيباً على هذا الاستفتاء للدكتور عبد الوهاب عزام بك قال فيه إن الناقد لا يستطيع أن يوازن بين جماعة من الشعراء « إلا أن يقرأ ديوان كل واحد منها قراءة ناقد متثبت ، ويكون قد عنى بها وقرأها واستقر على رأي فيها على مر الزمان ... وليت شعري من فعل هذا من النقاد ؟ » أقول : إذا كان هذا مستبعداً على النقاد فما بالك بالقراء ... ؟ .

ملك الشعراء :

ومما قاله الدكتور عزام بك في ذلك التعقيب : « وإذا نظرنا في تاريخ الآداب الشرقية ، وجدنا ألقاب الإمارة والملك معروفة بين شعراء إيران مثل ملك الشعراء معزي . وقد تلقب بلقب ملك آخرون من شعراء الفرس من بعده . وفي عصرنا هذا يعرف الشاعر الكبير بهار بلقب ملك الشعراء ، وهو أستاذ في جامعة